الملتقى الدولي الموسوم:

الفكر الشمولي عند سيدي أ بي مدين شعيب

عنوان البحث:

الملمح الفكري والسلوكي للمدرسة المدينية-مقاربة في الأذواق والأنساق-

تاريخ الملتقى الدولي:

23 أفريل 2024

الجهة المنظمة:

جامعة أبوبكر بلقايد تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

الدكتورة: أحلام بلعطار Dr. Belattar Ahlem

الرتبة: أستاذ محاضر (أ)

جامعة الإنتماء: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة-

كلية أصول الدين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

البريد الالكتروني: ahlembelattar@yahoo.com

رقم الهاتف: 0696676136

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة، الجزائر ص.ب: 25000

Emir Abdelkader University of Islamic Siences Constantine Algeria

الملخص:

تندرج هذه الورقة البحثية ضمن المحور الثاني، وينصرف فحواها إلى التعاطي مع أحد أعمدة التصوف في الغرب الإسلامي ومؤسس المدرسة المدينية وهو سيدي أبو مدين شعيب التي نظمت آراءه وشائج الوصل بين النظر والذوق كخصيصة معرفية ومنهجية يتعالق حولها البناء العرفاني للشيخ، وتتغيا استكشاف نشأة وتطور المدرسة المدينية، مع التركيز على دور مؤسسها الشيخ أبو مدين شعيب والتحليل العميق للمرجعية الفكرية والمنهجية للمدرسة في مجال التصوف، متبوعًا بتسليط الضوء على المفاهيم والممارسات التي اعتنقتها المدرسة لتحقيق التزكية والإرتقاء الروحي في ظل النسق المعرفي العام لها. كما تأتي الدراسة لتسليط الضوء على أثر المدرسة وانتشارها في الغرب الإسلامي، وتتبع رموزها البارزة في هذا السياق، وتقوم أيضًا بمقارنة المدرسة المدينية مع مدارس صوفية أخرى لفهم تميزها، مع التأكيد على دور المدرسة في تطوير ونشر التصوف السني المعتدل. وضرورة ربطها بسياقها التاريخي والاجتماعي في المنطقة التي نشأت فيها، مع تسليط الضوء على إسهاماتها في الحياة الفكرية والروحية للمجتمع الإسلامي. من أجل فهمها فهما شاملا ومدى تأثيرها على الساحة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: ابو مدين شعيب– المدينية– الفناء– العرفانية، إمتدادات.

Abstract

The intellectual and behavioral traits of
encapsulated in an approach that harmonizes
- tastes and patterns.-

This research paper falls within the second axis, focusing on one of the pillars of Sufism in the Western Islamic world, namely the founder of the Madani School, Sidi Abu Madyan Shu'ayb. The paper explores his views and the interconnection of perspectives and aesthetics as an epistemic and methodological specificity around which the Sheikh's mystical structure revolves. The study delves into the origins and evolution of the Madani School, with a particular emphasis on the role of its founder, Sheikh Abu Madyan Shu'ayb. It provides a profound analysis of the intellectual and methodological references of the school in the field of Sufism, followed by shedding light on the concepts and practices embraced by the school for achieving purification and spiritual elevation within its overall cognitive framework. The study also highlights the impact and dissemination of the Madani School in the Western Islamic world, tracing its prominent figures in this context. Additionally, it conducts a comparison between the Madani School and other Sufi schools to understand its distinctiveness, emphasizing the school's role in developing and disseminating moderate Sunni Sufism. The study underscores the need to link the Madani School with its historical and social context in the region of its origin, shedding light on its contributions to the intellectual and spiritual life of the Islamic society. This comprehensive understanding is essential for grasping its significance and influence on the Islamic stage.

Keywords: Abu Madyan Shu'ayb - Madaniya - Annihilation - Mysticism – Extensions

مقدمة .

1. نشأة المدرسة الصوفية المدينية

1.1 نبذة عن حياة مؤسسها أبو مدين شعيب

ولد أبو مدين شعيب الغوث بإشبيلية بالأندلس وكانت في بداية حياته راعي غنم ليقرر بعدها الترحال طلبا للعلم، درس في بداياته بفاس بالمغرب قبل أن يقرر أداء فريضة الحج؛ حيث مر بالعديد من الحواضر الدينية والعلمية الجزائرية آنذاك كتلمسان وبجاية التي أسرته وتركت فيه تأثيرا كبيرا.

وواصل بعدها طريقه إلى مكة وهناك التقى بالمتصوف والفقيه ومؤسس الطريقة القادرية عبد القادر الجيلاني الذي أثر فيه كثيرا مرافقة إلى بغداد بالعراق التي كانت في قمة ازدهارها ليقرر بعدها العودة إلى مدينته المفضلة بجاية للنشر علومه ومعارفه قبل أن يقرر وهو في آخر حياته التوجه إلى فلسطين للدفاع عن بيت المقدس ليعود بعدها إلى الجزائر وتوافيه المنية بنواحي تلمسان.

2.1 العوامل المؤثرة في نشأتها

نشأت المدرسة الصوفية المدينية على يد مؤسسها الشيخ أبو مدين شعيب نتيجة لتأثير عدة عوامل. كانت الظروف السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب والأندلس حينذاك من بين العوامل الرئيسية التي ساهمت في انتشار التصوف. كما شجع ازدهار الحياة الفكرية والثقافية في المنطقة على ظهور المدارس والتيارات الصوفية.

انتشر التصوف على نطاق واسع في المجتمعات الإسلامية في تلك الفترة، وكانت هناك بعض الانحرافات الفكرية داخل بعض المدارس الصوفية، مما دفع إلى ظهور مدرسة معتدلة لتصحيح المسار.

وقد تأثرت المدرسة بشخصية أبي مدين ومكانته الروحية ومنهجه المعتدل في التصوف، مما أسهم في ساهم في تقوية نفوذها وتأثيرها الواسع، وفي جذب العديد من الأتباع والدعاة إلى طريق التزكية والعبادة الحقة.

3.1 بداية ظهور المدرسة وانتشارها

ظهرت المدرسة الصوفية المدينية في بداية القرن السادس الهجري بفضل الشيخ أبو مدين شعيب ببجاية الناصرية. كان أبو مدين معروفًا بالزهد والتقوى، مما جذب العديد من المريدين إليه في بداية ظهور المدرسة. انتشرت شهرة المدرسة وأفكارها عبر رحلات أبي مدين شعيب، حيث تخرج على يديه كبار علماء التصوف .

تميزت المدرسة بالاعتدال وعدم التشدد، مما جعلها تحظى بقبول واسع بين عامة الناس. انتقلت المدرسة من المغرب إلى الأندلس في القرن السابع الهجري، مما زاد من انتشارها. كان أتباع المدرسة يعتمدون على الدعوة ونشر الثقافة بدلاً من الانعزال، مما ساعد على انتشار أفكارهم. وهكذا، انطلقت المدرسة من مدينة بجاية ووصل نفوذها إلى مدن المغرب والأندلس الكبرى خلال قرنين من الزمان.

2. الملمح الفكري والسلوكي للمدرسة المدينية

1.2 المرجعية الدينية

يمثل أبو مدين شعيب من خلال مدرسته العرفانية المدينية تجربة روحية عميقة أثرت لقرون، حيث نجح في الجمع بين الشريعة والحقيقة، وأظهر أنه لا تناقض بين العلمين، حيث وفق في الموازنة بين العقيدة والسلوك، وفي دمج العلم الديني والتجربة الروحية.

ويتسم بالاهتمام بالجانب العقدي السني في تصوفه، ولم يتناقض مع تعاليم القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية إذ يعد من الصوفية المحافظين على العقيدة الإسلامية السنية دون تحريف أو تجاوز. بفضل جهوده، تم تصحيح الفهم حول دور الصوفية وتأكيد وفائهم للتعاليم الإسلامية.

علاوة على ذلك فإن المدرسة المدينية تربت في بيئة فقهية مالكية، وبتأطير من المدرسة السلوكية الغزالية، الأمر الذي حقق لها التمكين والقبول لدى ساكنة بلاد المغرب لتملأ امتداداتها آفاق مشارق ومغارب العالم الإسلامي، كما يعد الفقه المالكي أول رافد تنهل منه المدرسة المدينية، فيتلقى طالب العلم العرفاني أو المريد مبادئ الفقه المالكي بداية، كونه ركيزة تصوف بلاد المغرب عموما انطلاقا من قاعدة أن الله لا يعبد بالجهل.

2.2 المفاهيم الصوفية المدينية الأساسية

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مختلف المدارس الصوفية تشترك في عدة معتقدات أساسية حددتها أنساق معرفية عرفانية أحكمت تعالقاتها وتجاذباتها، ولكن يمكن أن يكون لكل مدرسة تركيزها الفريد وبعض الخصوصية. ومن هنا يمكن الإشارة إلى مدى سعي المدرسة المدينية لتعزيز مفاهيم صوفية رئيسية، بدءًا بالتوحيد بالتأكيد على معرفة الله وإفراده بالعبادة ؛ يتضمن ذلك الإيمان الراسخ بالوحدانية الالهية. ثم يبرز مبدأ الإخلاص، الذي يدعو إلى تطهير النية من كل ما سوى الله تعالى، مع التركيز على الخضوع الكامل لإرادته.

كما تشدد المدرسة على مفهوم الزهد، الذي يعبر عن التقليل من ملذات الدنيا والابتعاد عن التعلق بها، مما يشير إلى تركيزها على البعد الروحي والتخلي عن الشهوات الدنيوية. كما تؤكد على التقوى، وهي الالتزام بأوامر الله واجتناب نواهيه، مما يسهم في بناء حياة دينية مستقيمة.

وتعزز المدرسة مفهوم المراقبة، الذي يتضمن مراقبة الله في السر والعلن، مما يكرس الوعي الروحي والتواصل المستمر مع الله. بالإضافة إلى ذلك، تعتنق قيمة الصبر وتحث على تحمل أذى الناس والرضا بقضاء الله، وهما مظهران من مظاهر الاستقامة والصمود في وجه التحديات.

علاوة على ذلك تسعى المدرسة أيضًا لتعزيز مفهوم الرضا، حيث يتعين على الفرد أن يقبل قسمة الله ويسلم بكل الأمور إليه. وفيما يتعلق بالمفاهيم الروحية، تعتنق المدرسة فكرة الفناء والبقاء، حيث يعبر الفناء عن زوال صفات النفس في صفات الله، بينما يرتبط البقاء ببقاء الله بعد فناء العبد في صفاته.

3.2 منهجية المدرسة في الممارسات الصوفية

تميزت منهجية المدرسة الصوفية المدينية بالاعتدال وعدم التشدد في الممارسات الصوفية. فقد ركزت المدرسة على الجانب الشرعي، فاعتمدت الأذكار والأوراد المستمدة من السنة النبوية كالذكر وقيام الليل وقراءة القرآن. ونظمت ممارسات مثل الخلوة بحيث لا تتعارض مع الشريعة.

كما سمحت بالسماع المعتدل مع تجنب الإيقاعات المحرمة. ورفضت المنهجية المدينية التشدد والغلو في الممارسات مثل الأخذ على البطون والرقص الصاخب، كما تجنبت الأخذ بالرموز والتأويلات البعيدة عن النصوص، مع التوازن بين ممارسات القلب والجوارح.

3.إمتدادات المدرسة المدينية

1.3 تأثيرها على الحركة الصوفية في العالم الإسلامي

انتشرت المدينية" بشكل واسع عند الناس، وامتداداتها وصلت إلى مشرق العالم الإسلامي فضلا عن مغربه، وقد يعزى ذلك إلى كثرة تلاميذ أبي مدين وتفرقهم في الأمصار، ومما تجدر الإشارة إليه تميزها بالبساطة والبعد عن التعقيد، حيث أمكن عموم الساكنة نهج سلوك المتصوفة. وتذكر مصادر متعددة أن بجاية ارتقت إلى مركز إشعاعي علمي منذ القرن 06 هـ 12 /م، وعرفت بأفكار صوفيتها الذين إنتقلت معارفهم الذوقية إلى العالم الإسلامي وأهمها انتشار أفكار طريقة الشيخ أبو مدين شعيب.

2.3 أبرز رموز وشخصيات المدرسة

إن امتدادات المدرسة المدينية غطت ربوع العالم الإسلامي مشرق ومغربا كما أشرنا، ويرجع الفضل في ذلك إلى تلاميذه وجهودهم في نشر طريقته، فقد كان أبو أحمد بن سيد بونة خليفة أبي مدين على الأندلس، فالأندلسية ممثلة في الطريقة البونية للشيخ أحمد بن سيد بونة (ت 624هـ / 1227م). والشوذية لأبي عبد الله الشوذي المعروف بالحلوي (ت أوائل في 7هـ/13م)، الذي انتقل إلى حاضرة تلمسان وبها دفن، وقد ترك من بعده تلامذة انتشروا بالمغرب الأوسط والأندلس، ومن أشهر تلاميذه وأعلام المدرسة ابن أحلى (580هـ - 645هـ / 1184م،1247م)، وابن المرأة الأندلسي(ت610هـ/1213م)، ومن بعدهم ابن سبعين (ت 669هـ/ 1270م) . وعبد العزيز المهدوي القرشي (ت 621هـ/1224م) ، وأبو محمد صالح الماجري الذي مثل قيمة التصوف المعرفي الإشراقي، وأبو محمد عبد الرزاق بن محمود الجزولي المغاور، وأبو يوسف الدهماني وأبو حفص الحباك. وعبد السلام بن مشيش (622هـ/ 1225م) الذي يعد رمزا للتصوف السني، وغيرهم من أصحاب المعرفة اللدنية. وهذا يدل على مكانة الشيخ أبي مدين الذي من خلاله نتج مزج بين المدرسة المدينية والحركة الصوفية في العالم الإسلامي من خلال ذلك التواصل الصوفي الذي حمل معه تواصلا ثقافيا ودينيا وعلميا جسده على أرض الواقع تلامذته بعد وفاته.

وقد مكث الشيخ أبو مدين في بجاية خمسة عشرة سنة، درّس بها كتاب إحياء علوم الدين للغزالي الذي لقي رواجا كبيرا في المغرب والأندلس خاصة في عهد الدولة الموحدية، إلى جانب الرسالة القشيرية.

الخاتمة

في ختام البحث نخلص إلى أن المدرسة المدينية انطلقت من قاعدة صلبة ومتينة اعتمدت على القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، ونشأت في بيئة فقهية مالكية، وبتأطير من المدرسة السلوكية الغزالية، الأمر الذي حقق لها التمكين والقبول لدى ساكنة بلاد المغرب وغيرها.

تركز هذه الورقة البحثية على الدور المحوري للشيخ أبي مدين شعيب في تأسيسه للمدرسة المدينية ونشر تعاليمها في الغرب الإسلامي خلال العصور الوسطى، وقد تميزت بالاعتدال والتوازن بين مبادئ التصوف وتعاليم الشريعة الإسلامية، مما جعلها تتجنب التشدد والانحلال؛ الأمر الذي أدى إلى إنتشارها بشكل واسع في المغرب والأندلس نتيجة لسماحة تعاليمها وانضباطها.

ساهمت المدرسة في تطوير الفكر الصوفي من خلال إنتاج كبار علماء التصوف، وكان لها تأثير كبير على الرواد البارزين في الفكر الصوفي مثل ابن عربي وابن الفارض. كما شاركت المدرسة في ترسيخ مفاهيم التصوف السني ومكافحة الانحرافات المنتشرة في ذلك الزمن. وبصفة عامة، تركت المدرسة إرثًا فكريًا وروحيًا هامًا في تاريخ التصوف الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع.

-أبو القاسم الجنيد، رسائل الجنيد، تح علي حسن عبد القادر، دار الكتب المصرية، القاهرة، 2003 م.

-أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1998م.

-ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، 1965 م.

- ابن مريم البستان ، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

- أبو مدين شعيب ، ديوان أبي مدين شعيب الغوث، تحقيق عبد القادر سعود وسليمان القرشي، كتاب ناشرون، لبنان، 2011 م .

-بن حيدة يوسف :الطرق الصوفية في الجزائر وبلاد المغرب ودورها في نشر الوعي والإخاء والتضامن الاجتماعي، .رسالة ماجستير، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2010 م - 2011م.

-بوتشيش إبراهيم القادري ، المغرب والأندلس في عصر المرابطين - المجتمع الذهنيات - الأولياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993

- ظهور التصوف بالمغرب، مجلة عصور جامعة وهران الجزائر، ع 14، 2015

-بولطيف الخضر، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، 2009

-بونابي الطاهر، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7هـ/12-13م) نشأته - تياراته - دوره الاجتماعي والثقافي والفكري السياسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة - الجزائر، 2004 ، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين (8-9) هـ (14-15) م، جامعة الجزائر الجزائر، 2008م.

-عبد الحليم محمود :أبو مدين الغوث، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط3 ، دت.، شيخ المشايخ أبو مدين الغوث -حياته ومرجعه إلى الله -دار المعارف، مصر، د ت.

-عبد الوهاب محمد حلمي، ولاة وأولياء السلطة والمتصوفة في إسلام العصر الوسيط، الشبكة العربية للأبحاث والنشر. بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

- الطاهر علاوي :العالم الرباني سيدي أبو مدين شعيب، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1 ، 2004م.

-مختار حبار :شعر أبي مدين التلمساني، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002 م.

- .مبارك الميلي :تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ط4 ، دت، ج1

-منال عبد المنعم جاد الله :التصوف في مصر والمغرب، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1997 م.

-نقاز كريمة :بنية الخطاب الشعري الصوفي خلال القرنين السادس والثامن الهجريين، أطروحة دكتوراه، جامعة احمد بن بلة، وهران، 2018 م 2019 /م.

-نور الهدى الكتاني :الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، دار الكتب العلمية بيروت، 2008م.

-يحي بوعزيز :مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2003م .